المحاضرة السادسة: مجالات التعمير الحضري والريفي

1)العمارة الريفية:

تعتبر القرية النواة السكنية في المجال الريفي وهي متميز بأهميتها الديمغرافية ووظائفها الاجتماعية والاقتصادية وشكلها المورفولوجي، ومعالمها وعلاقتها المزدوجة مع المركز الحضري والمحيط البدوي.

1-1) مفهوم القرية:

- ارتبط تحديدها أولا بطبيعة شبكة التوطين وهيكلته، إذ كثيرا ما ذكرت القرى في علاقة مع مركز حضري قادر على بسط نفوذه على إقليم كامل؛ وهكذا ذكر اليعقوبي قرى الكورة بكل من قمودة والساحل وباجة وزغوان وغيرها وبتالي تحدد القرية بالمعنى المقابل للمدينة على أنها مركز توطين ريفي يفتقر إلى مؤسسات إدارية وإلى سلطة سياسية هامة، وقد تواجدت في السهول والجبال على حد سواء.

-وهي كذلك وحدة استغلال زراعي قائمة على الزراعات السنوية والغراسات، وقد وصف اليعقوبي التعمير في جبل نفوسة فقال"... ومنازلهم في جبال طرابلس في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة..."، أما بلاد الساحل فإنه قال عنها"....بلد يقال له الساحل ليس بساحل بحر كثير السواد من الزيتون والشجر والكروم وهي قرى متصلة بعضها في بعض كثيرة"...

وثمة صنفان من القرى:

- الأولى أراضيها تحت سلطة السكان الذين كانوا يديرون شؤونهم بواسطة مجلس القرية المكون من المشائخ غير الخاضعين لسلطة كبار المالكين العقاريين من ذلك قرى جبال نفوسة ودمر ووسلات والأوراس.

-الثانية فهي مقر لعدد كبير من العمال الزارعين الذين كانوا يفلحون الأرض لفائدة كبار الملاكين المتغيبين ومن ذلك ما أوردته المصادر من امتلاك أحد أعيان القيروان في القرن الثاني ه/الثامن م، وهو محمد بن مسروق، لعدد من القرى بنواحي القيروان وقد كان أهلها يفدون إليه مقدمون إليه الولاء باعتبارهم عبيدا له، على أنه ابتداء من القرن الخامس الهجري تحرر أهل هذه القرى بتلاشي نظام الرق تدريجيا.

2) تعريف المدينة:

يشير البحث اللغوي أن كلمة مدينة ترجع أصلا إلى كلمة "دين" وأن لهذه الكلمة بهذا المعنى أصلا في الآرامية والعربية أي أنها ذات أصل سامي، وعرفت المدينة عند الآكديين والأشوريين بالدين أي القانون، كما أن الديان يقصد بها في اللغة الآرامية والعبرية "القاضي"، وإضافة إلى ذلك فإن مصدرها في الآرامية" مدينتنا" وتعني القضاء، وتوافق هذه التفسيرات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ ففي القرآن الكريم كل المواضع التي أطلق عليها اسم "المدينة" كان علها حكام وملوك وفيها علة وجه التحقيق الصيغة القضائية والدينية والإدارية والسياسية فجاء تمييز المدينة عن القرية في القرآن الكريم على أساس سمة التقاضي.

3)الفرق بين الريف والمدينة:

هناك عدة معايير نضعها لتتميز بين الريف والمدينة منها:

-الكثافة السكانية: تتميز المدينة بكثافتها السكانية المرتفعة مقارنة بالريف بينما يتميز الريف بكثافة قليلة.

-الحياة الاقتصادية: تتميز الحياة الاقتصادية في المدينة بالتنوع باعتبارها شريان الحياة الاقتصادية بحي تتركز فيها الكثير من الخدمات كالحرفيين الصناع، أما في الريف فتتركز أعمال كالزراعة والمنتجات الحيوانية والتجارة حيث يتم تسويقها إلى المدينة غالبا.

-الحياة الاجتماعية: تتميز الحياة في الريف بقوة الروابط الاجتماعية وتقارب الناس من حيث النسب والعائلات، أما في المدينة فيوجد بها أناس من مختلف الأنساب ويمكن أن نجد أعراق مختلفة داخل المدينة الواحدة لذلك تعاني من ضعف العلاقات الاجتماعية بين الأفراد مقارنة بالريف.

4)التوزيع المجالي شبكة المدن في المغرب الأوسط:

إن توزيع شبكة المدن في المغرب الوسط يدل على ارتباطها بشبكة الطرق الرئيسية بحيث أن المدن الأولى والتي أنشأت قبل القرن5ه/11م كانت مركزة في المواطن الواقعة في الهضاب العليا؛ وهذا أمر طبيعي إذ تم التعرف على الطريق الرئيسي الممتد من إفريقية إلى المحيط الأطلسي، أما بعد القرن 5ه/11م فأن العوامل الجديدة والطرق البحرية الجديدة جعلت النشاط العمراني يتحول من الهضاب العليا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط بواسطة ما حدث ما بين المدن الواقعة في الداخل والشريط الساحلي مثل الطريق من القلعة إلى بجاية أو من تاهرت إلى تنس أو من تلمسان إلى هنين.

كما كانت الهجرة العربية الهلالية الجماعية التي وصلت لبلاد إفريقية وطرابلس قصد الاستيطان والإقامة في منازلها ومراعيها ونظرا للاستيطان القبلي قبلهم في المنطقة فقد أدى ذلك؛ إلى اصطدام وصراع قبلي جديد أدى في الأخير إلى تغلب الموجة الهلالية والتي كان لها الدور الكبير في عملية التعريب وما حملته معها من انتصار الاتجاه السني وتغلبه على الاتجاه الشيعي الفاطمي الإسماعيلي.

كما نستنتج أيضا أن التغلب الهلالي قد فسح المجال لظهور أهمية مدن وأصقاع المغرب الاقصى كفاس وسبتة وأغمات؛ التي تمكنت بعد أن أتى الهلاليون الظهور على حساب تراث المغرب الأدنى والأوسط من القيروان حتى تلمسان أن تبرز فيها تلك الحركات السياسية والدينية التي نمت في كنف الصحراء كالحركة المرابطية التي حملت على عاتقها مسؤولية توحيد بلاد المغرب ومواجهة الموجة الهلالية، بالإضافة إلى مساهمة الهجرة الهلالية في انتقال مراكز السلطة من الهضاب العليا إلى الساحل وأهم هذا الأمثلة انتقال عاصمة الحماديين من جبل كيانة إلى بجاية تحت الضغط الهلالي.